باب التقريظ والانتقاد

رسائل البلغاء

هذا كتاب ينبغي ان لا تخلو منهُ مكتبة اديب. يحتوي على ما عرف لعبد الله بن المقفع من الأدب الصغير والأدب الكبير وغيرهما وما لعبد الحميد بن يحيى الكاتب من الرسائل والتحف والحكم وعلى الرسالة العذراء في موازين البلاغة وادوات الكتابة لابي يعسر ابراهيم بن محمد بن المدبر ورسالة ابي حسن علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح الى ابي العلاء المعرى وملتى السبيل للمعرى ورسائل الانتقاد لابن شرف القيروانى وكتاب العرب لابن قتيبة ورسالة رشيد الدين الوطواط فيما جرى بينهُ و بين الزمخشري ومنتخب من عهد اردشير في السياسة وكتاب الادب والمروءة لصالح بن جناح الربعي

ولد عُني بجمع هذه الرسائل صديقنا الكاتب الفاضل محمد افندي كردعلي صاحب المقتبس وقدَّم لها مقدمة عن عبد الله بن المقفع وعبد الحميد ابن يحيى الم فيها باكثر ما يعرف عنهما ملخصهُ وانتقدهُ مبيناً غثهُ من سمينهِ قال بعد ان اورد اتهام الجاحظ لابن المقفع في دينهِ « ان مسألة التهمة في الدين من الامور التي شاعت في كل عصر ومصر ويكون المتهمون بها في معظم الاحوال ابرياء والاَّ فكيف تسجل الزندقة على ابن المقفع اذا جرينا مع الدليل . وليست الزندقة بشيء مما يضمرهُ الانسان في نفسهِ لان مثل هذا لا يطلع عليهِ الاَّ الله تعالى ويكفي ان يقال هلا شققت عن قلبهِ . بل الزندقة التي تذكر في الكتب وتترتب عليها الاحكام و يسوغ ان يقال عن فلان انهُ زنديق امور تقوم عليها بينات ظاهرة من اقوال وافعال . وكلام ابن المقفع في الدين يدل على شدة تمسكهِ وفرط ميلهِ على ما يجلي لك من رسائلهِ

« ولو كان ثم سبيل لما ينسب اليهِ لاسيما مع غضب المنصور عليهِ لكان الاقرب ان يتقرب مثل المنصور بمثل ذلك وفيهِ ما فيهِ من ارضاء العامة وشفاء الغليل من العدو بحيث ينتقم منهُ مع اسقاطهِ ولا يعدم المنصور حينئذٍ حيلة في قتلهِ جهاراً بهذه التهمة . اما اتهام ابن المقفع بمعارضة القرآن فيتصرف على القاعدة في اتهامهِ بالزندقة وما نظن القاضي عياضاً والباقلاني الا ناقلين عن اناس من اهل السذاجة ومع ذلك فانهما قالا انهُ اتاب

« التهمة بالزندقة امر نشأت منهُ مضار كثيرة حتى لم يخل منها مثل الامام الغزالي الذي

كان اعظم انصار الدين فانظر الى كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة الذي الفهُ في الرد على اولئك الذين نسبوا اليهِ ما نسبوا فان فيهِ الغناء . واغرب من ذلك القيام على ابي حاتم ابن حبان البستي امام المحدثين في عصرهِ وصاحب الصحيح المشهور بهِ والكتب الممتعة الكثيرة واستحصال الامر بقتلهِ لولم ينج من ذلك بعوارض لا تخطر في البال »

وذكر ما روي عن مقتل ابن المقفع وسبب قتلهِ ويظهر منهُ ان ابن المقفّع كان قليل الحذر شديد التفريط بنفسهِ مستهدفاً للبلوى لا يخاف في الحق لومة لائم فانهُ كتب اماناً لعبدالله بن علي قال فيهِ « ومتى غدر امير المؤمنين بعمهِ عبدالله فنساؤهُ طوالق ودوابهُ حبس وعبيدهُ احرار والمسلمون في حل من بيعتهِ » . فاشتدَّ ذلك على المنصور وكتب الى سفيان بن معاوية المهلبي وهو امير البصرة من قبلهِ فقتلهُ . ولا عبرة بقتلهِ ولكن العبرة بجاهرتهِ بما جاهر بهِ في ذلك العصر واعجب من ذلك ان المنصور سمح ان يؤتى بسفيان ابن معاوية اليهِ مقيداً ليلقاهُ بقتل ابن المقفع

والمطلع على هذه الرسائل يجد فيها اساليب الانشاء التي كان ائمة البلاغة في القرون الاولى يتوخونها . ولقد احسن جامعها ونشرها في ما رجاهُ من ان يقع فيها المشتغلون بتاريخ الشرق واجتماعهِ على ما يتم بعض الاحكام على الحضارة العربية

رواية هنري الخامس

من روايات شكسبير

لم تكن لغة شكسبير حينما وضع رواياتهِ من الفصاحة في شيء لكنها صارت عند الانكليز مقياس الفصاحة . وطالما وددنا ان يُقيَّض لها من ينقلها الى العربية الفصحى . ويظهر لنا ان حضرة محمد افندي السباعي معرب هذه الرواية قد وفى بالمراد فاذا اتمَّ تعريب سائر الروايات وتكرر تمثيلها بالعربية كما تكرَّر بالانكليزية فلا يبعد ان تفعل الترجمة بلغة سامعيها ما فعل الاصل بالانكليزية

مسائل في الطبيعة

وضع هذه المسائل حضرة الاستاذ نقولا باسيور احد المدرسين في المدرسة السعيدية وهي قواعد وجيزة في قياس الاجسام ونسب الروافع والثقل النوعي وضغط السوائل وقانون ارخميدس والضغط الجوي والثرمومتر وتمدُّد الاجسام والحرارة النوعية وما اشبه وعلى كل

قاعدة منها مسائل كثيرة وجملة المسائل ٦٧٠ مسألة واكثرها مما لا يستطيع حلهُ الاَّ من عرف قواعد علم الطبيعة الرياضي معرفة تامَّة . وقد اقتصر على حل المسائل بالطرق الحسابية والجبرية من غير استعانة بالرياضيات العليا

الواسطة بين المتنبي وخصومهِ

لمؤلفهِ ابي الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هجرية وقد عني بتصحيحهِ وشرحهِ وطبعهِ احمد افندي عارف الزين صاحب مجلة العرفان الغراء

والقاضي الجرجاني هو صاحب الابيات التي يقول فيها

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
اذا قيل هذا مشرب قلت قد اري ... ولكنَّ نفس الحر تحتمل الظما
ولم اقضِ حق العلم ان كان كلما ... بدا طمع صيَّرتهُ لي سلَّما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأُخدم من لاقيت لكن لأُخدما
أأشقى بهِ غرساً واجتنيه ذلة ... اذاً فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوهُ صانهم ... ولو عظَّموهُ في النفوس لعظَّما
ولكن اهانوهُ فهان ودنَّسوا ... محيَّاهُ بالاطماع حتى تجهَّما

والواسطة ديوان شعر وخزانة ادب ومعرض نجلت فيهِ عرائس الاشعار ومبتكرات المعاني ولكنهُ خالٍ من التبويب والتفصيل كانهُ بحر لا ساحل لهُ . ترى الفصل في صفحة وفاعلهُ بعد صفحات وتحسب انك وصلت الى الموضوع بالذات وهو الدفاع عمَّا رمي بهِ المتنبي من المعايب الشعرية فاذا انت بطائفة من اشعار غيرهِ كأن الجرجاني غفر الله لهُ كان محموماً كثر ورود الدم الى دماغهِ فنبَّه ذاكرتهُ الى كل محفوظاتها من قديم وحديث فسابقت الى قلمهِ وتزاحمت على قرطاسهِ حتى في التعبير عن المعنى الواحد فانهُ يوردهُ على اساليب شتى كأنهُ غير واثق ان اسلوباً واحداً يكفي لايضاح مرادهِ . ولكن محفوظاتهُ كلها دُرر وغرر ولقد كانت قلة الكتب وصعوبة الوصول اليها والتفتيش عمَّا يراد فيها من الاسباب التي قوَّت ذاكرة الاقدمين فحفظ الواحد منهم في قلبهِ ما يتعسَّر علينا حفظ معشارهِ الآن ولعلَّ الطباعة اضرَّت من هذا القبيل حتى قيل مَن كان عملهُ في كتابهِ كان خطأُهُ اكثر من صوابهِ . وكثيراً ما حاولنا جمع الحقائق العلمية والتاريخية من كتب الجاحظ فتهنا في نافيها واذا الجرجاني لا يقصر عنهُ في تشعب مسالكهِ . ولو عني حضرة مصحح هذا الكتاب بفصل

فصوله بعضها عن بعض او بوضع اشارات على هامشه تدل على موضوع ما امامها خدم مطالعي هذا السفر خدمة جليلة لانهُ من خيرة كتب الادب . وهو على كل حال جدير بالشكر العطر لاعتنائه بتصحيحه وطبعه

والكتاب كبير يقع في اكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة وهو حري بان يكون في مكتبة كل اديب

القراءة الحديثة

كتاب مدرسي حديث الاسلوب في العربية يتناول القراءة والحفظ والاملاء وضعهُ الاستاذ انيس الخوري المقدسي للطلبة في القسم الاستعدادي من المدرسة الكلية السورية الانجيلية . وهو دروس انتق بعضها من الكتب والمجلات العربية ووضع البعض الآخر . يشتمل كل درس منها على فصل طويل للقراءة وفصل قصير للاملاء وابيات للحفظ غيباً وسؤالات عن معاني بعض الكلمات الواردة في ما تقدم من الدرس وعن كيفية استعمال بعضها . وهو يطلب من الكلية ومن المطبعة الادبية في بيروت وثمنهُ بشلكان

قلب الصين

The Heart of China; by Oliver Bainbridge.

هو خطبة مسهبة للمؤلف تلا بعضها منذ مدة من الزمان في اجتماع جمعية لندن الصينية مدارها على اهم المواضيع الاجتماعية كالتعليم والقضاء والدين واللغة والمدن والبيوت والطعام والنساء . وقد ختم المؤلف خطبتهُ بقولهِ

« اني اثق تمام الثقة ان الصين ستربح في السنوات الثلاثين التالية تجارياً وحربياً ارتقاء يدهش العالم

« لقد اثبت التاريخ ان الصينيين محبون للسلم والصناعة ولا داعي لعدولهم عن ذلك اذا اضطروا ان يزيدوا مهارة في الفنون الحربية . ولكن الصين بمئات الملايين من سكانها قد اخذت تستفيق كالجبار الذي كان يجهل ما فيهِ من القوة . وقد جعل التعليم يفصل الغرائب فيها هو والاساليب الغربية ولا يبعد ان يصير لها شأن كبير في توازن القوات الدولية

« والشعب الصيني اشرف شعوب الارض واكثرها اجتهاداً واقتصاداً وتعقلاً »

وفي الكتاب كثير من الصور المتقنة التي تمثل الصينيين في احوال مختلفة وهي منقولة عن صور فوتوغرافية فلا شك في مطابقتها للواقع

محاضر

مجلس شورى القوانين في دور سنة ١٩١٢ — ١٩١٣

المطلع على هذه المجموعة لا يسعهُ الاَّ الاعتراف بان مجلس شورى القوانين خدم بلادهُ خدماً جليلة واشتغل لجانهُ اشغالاً شاقَّة في البحث والتحري وابداء الآراء للحكومة . ونظرة واحدة الى فهرسها الهجائي تكفي للدلالة على المواضيع التي بحث فيها المجلس في دورهِ الاخير مثل مشروع صيد الاسماك وقانون امتحان المعادلة وقانون امتحان شهادة الدراسة الثانوية والسماح لبعض السائقين باعادة امتحانهم وقانون الخمسة الافدنة وقانون تقليع البرسيم لمنع انتشار دودة القطن ومنع نقل القطن من الوجه القبلي الى الوجه البحري قبل حلجهِ . وتملأ هذه المحاضر ٦٧٠ صفحة وستبقى اثراً خالداً لهذا المجلس الذي أُلغي الآن وقامت الجمعية التشريعية مقامهُ ومقام الجمعية العمومية

ولا يخفى ان بعض القوانين التي اقرتها الحكومة بموافقة مجلس الشورى كبير النفع سيبقى معمولاً بهِ الى زمن طويل وبعضها لم يوافق عليهِ كثيرون من الاعضاء ولا ترى لهُ فائدة دائمة ولا بد من الغائهِ وقتاً ما كقانون منع قطن الوجه القبلي من الحلج في محالج الوجه البحري فانهُ يضرُّ اهل الزراعة في الوجه القبلي ولا يمنع خلط التجار للقطن العفيفي بالقطن الاشموني لانهم يخلطونهُ بعد الحلج ولأن رتبة القطن العفيفي لم تنحط من اختلاط بزرهِ ببزر القطن الاشموني بل من اسباب اخرى طبيعية اهمها الرجوع الى الاصل والاَّ فكيف لم يقع هذا الانحطاط حينما بدأت زراعة القطن العفيفي في القطر المصري

الكتاب الثاني

من النماذج التطبيقيَّة للدروس النحوية

تأليف السيد اسمعيل افندي منصور خريج مدرسة المعلمين الناصرية ومدرس المدارس الاميرية . وهو تمارين كثيرة في انواع الكلمة وتقسيم الفعل واعرابهِ وبنائهِ وتقاسيم الاسم وجداول الضمائر واسماء الاشارة والاسم الموصول واعراب الاسم اي انهُ يشمل كل ابواب النحو . وفي كل تمرين اساليب مختلفة لتقوية الطالب واظهار معارفهِ واكثر الامثلة من فصيح اللغة وجوامع الكلم مما يفيد استظهارهُ فضلاً عن فائدتهِ العلمية

رحلة

سمو الامير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي الخديوي

الى اميركا الشمالية

اتحف الامير ابناء العربية برحلته الى اميركا . يقرأها المرء من اولها الى آخرها فيشعر كأنهُ رافقهُ في السفر وسامرهُ وسمع حديثهُ بين مستحسن ومنتقد وشارح ومستنتج وتمثل لهُ المشاهد التي شاهدها الامير لدقة وصفهِ لها حتى كأنهُ رآها سرأى العين . وقد رأينا ان نطرف القراء بفقرات قليلة من هذه الرحلة لما فيها من الفكاهة والفائدة

قال بعد ان وصل الى مدينة نيويورك « ذهبنا من الشارع نمرة ٥ وهو اجمل شارع بنيويورك فيهِ اعظم واكبر المحال التجارية الى السنترال بارك (Central Park) وهو متنزه جميل في وسط المدينة كمتنزه هيدبارك بلوندره ومنهُ الى شاطىء نهر الهدسون وقد اعجبتني جدًّا المناظر الجميلة التي فيهِ خصوصاً المنازل الخصوصية فانها مشيدة تشييداً بقناد اعنة الحدق اليها . ولم نقطع من هذا الشاطىء ٤ كيلو مترات حتى رأينا تمثال الجنرال جرانت فاستمررنا ونحن مسرورون بهذه الاستراحة اللطيفة الى واشنجتون بارك وهو مستراض آخر وعلى ربوة منهُ مدرسة العميان والصم والبكم . اما الجسور وعظمتها ودقة صنعتها وارتفاعها وطولها فلا تسل عنها فهي مدهشة وكثيرة ومن احسنها جسر واشنجتون هذا . ولقد رأينا اثناء سيرنا بنايات هائلة ومدارس عديدة والتفت نظرنا كبر الجامعة الاميركانية وحسن موقعها وجمال بنائها ولكن لا عجب من ذلك اذ اننا في بلاد الملياردات . والمشهور عن اغنياء اميركا الغيرة الشديدة والمنافسة حتى في المبات العلمية . وبما ان جامعتهم حديثة بالنسبة لباقي جامعات الامم الاوربية لا يبدع ان اختاروا من كل جامعة ما رأوهُ جميلاً ومفيداً ووضعوهُ في جامعتهم . ولابدَّ وان تكون ارقى بكثير من اشباهها باوربا وغيرها . ولا يخفى ان اللاهب الوهَّاج يسهل الصعوبات ويجعل كل شيء ممكناً فيثروتهم الهائلة يحضرون الاساتذة الماهرين والمخترعين المشهورين لا يضنون بدفع اجور عالية تحبب المجتهدين فيهم

« عدنا الى الفندق في الساعة السادسة مساء مسرورين من كل ما رأيناهُ ولما دخلت غرفتي وجدت فيها باقة من الورد الاحمر الجميل مكللة بشريط احمر من الحرير مكتوب عليهِ بالقصب جميل الترحيب بحضورنا من نادي السوريين بنيويورك »

وبعد ان فصّل ما رآهُ في بورصة نيو يورك وصعودهُ الى اعلى طبقة في بناء سنجر الذي فيهِ ٤٢ طبقة ورؤيتهُ منها جسر بروكلن وجزيرة المهاجرين والاكنات الحربية والمدينة واطرافها المتسعة وشوارعها المتوازية وعودهُ الى الفندق ومقابلتهُ لبعض الزوار قال : —

« اتت الساعة الثالثة وحضر ستة من السوريين من اعضاء الاتحاد السوري بينهم طبيب وصحافي والاربعة الباقون تجار لكوننا حلقة عربية واطلقنا لانفسنا عنان النطق بلغتنا الشريفة مظهراً لهم سروري من اهدائهم اليَّ باقة الازهار الجميلة ثم دار بيننا الحديث في جملة موضوعات مختلفة وقد علمت منهم ان لهم ست جرائد تطبع باللغة العربية فزادني هذا الخبر سروراً لانتشار هذه الجرائد في اميركا لعلمي انها واسطة التعارف والارتباط بين ابناء العرب الكرام ولا بد انها تأتي بحوادث الشرق واخباره فلا ينسى المهاجرون اوطانهم ويكونون دائماً على علم بما وصلت اليهِ بلادهم من السعادة او الشقاء . وبهذه المناسبة رجوتهم ان يحافظوا على جنسيتهم وان لا يفتروا بمدنية اميركا وارتقائها وثروتها فيميلوا اليها ويتجنسوا بجنسيتها فبلادنا محتاجة الى ابنائها ومهما بلغت البلاد الاخرى فان الشرق هو مهد العلوم والمعارف واصل المدنية ومنبع النور

« ان هذه المقابلة جعلت الرابطة بيننا وبينهم قوية حتى اننا افترقنا اصدقاء فودعتهم شاكرًا لهم شريف شمائلهم داعيًا لهم بالتوفيق ودعاني الخواجه قيصر صباغ لان اتناول العشاء معهُ في مطعم فرنسي شهير للسيو مارتن فقبلت دعوتهُ وانصرف مع اخوانهِ على ان يعود الينا قبل العشاء .... وعند الساعة السادسة ونصف حضر فذهبنا معهُ ماشين الى المطعم فوجدت انهُ في احسن المواقع والاقبال عليهِ عظيم فلم استغرب كثرة الواردين عليهِ حيث ان الطعام في باقي المطاعم الاميركية ليس جيداً . وقد علمت ان المسيو مارتن يدفع كل سنة عشرين الف جنيه ايجاراً ويصل دخلهُ في بعض الايام الى ٢٠٠٠ جنيه فجلسنا حول السفرة التي أُعدَّت لنا بين زهور جميلة منضودة على المائدة وشجيرات خضراء متفرقة في مواضع مختلفة ومن حسن الاتفاق ان الذي كان قائمًا بخدمتنا وقت الاكل تونسي يتكلم باللغة العربية »

وقال لما وقف لمشاهدة شلال نياغرا

« هنا وقفنا خاشعين امام القدرة الالهية نعجب من جمال المنظر . وطالما بنا الوقوف ونحن لا نعلم لذلك سببًا الاَّ اننا سُحرنا من عجيب ما رأينا وذهبت افكارنا في عالم آخر لم نعهدهُ من قبل حتى خُيِّل لنا ان ما نراهُ ان هو الاَّ اضغاث احلام كأن الطبيعة ارادت ان تصورها بجلالتها وعظمتها ولم تنتبه من ذلك الخيال الذي ملك افئدتنا الاَّ وقد ارخى الظلام سدولهُ

وتوارت الغزالة بالحجاب فالتفتنا بعضنا الى بعض قائلين ماذا جرى لنا وقد طال بنا الوقوف ونحن عن ذلك غافلون فصممنا على العودة بالرغم منا وقلوبنا متعلقة بذلك المنظر الذي ملأها عجباً ولكن ما الحيلة وكل شيء لهُ نهاية تلك سنّة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

وقال بعد ان وصف نزوله الى تحت الشلال ومشاهدته اماكن كثيرة هناك « كيف لا يدهش الانسان وتملكهُ الحيرة من هذه المناظر التي بينا يراها بديعة جميلة يملأ حسنها نظرهُ فتقر بها عينهُ ويشرح لها صدرهُ اذ يراها هائلة تخفق لرهبتها القلوب وترتاع من هولها النفوس . ان خرير الماء تطرب لهُ الآذان وصفاءهُ تقرُّ بهِ العيون فاذا وجّه الانسان سمعهُ الى هذه النغمة الطبيعية المستمرة ووجّه نظرهُ الى هذا الصفاء البلوري يشرح قلبهُ ولكنهُ اذا تأمل كيف تتحدر المياه الى هوة لا يقلُّ عمقها عن مئة متر وهذه الهوة محصورة بين حائطين عظيمي الارتفاع يشعر بالمهابة فيستصغر نفسهُ ويشهد ان الانسان مازال ولن يزال ضعيفاً امام هذه العظمة وهذا الجبروت

« ان مكاننا ورؤيتي هذين الحائطين الهائلين جعلاني اذكر للقارئ مثلاً آخر من امثلة الجسارة النادرة التي ظهرت اثناء زيارة جلالة ملك الانكليز ادورد السابع لكنذا عند ما كان ولياً للعهد . وقت زيارة جلالتهِ لهذا المكان كان فيهِ احد المشهورين في الالعاب الرياضية المدعو المسيو بلوندين Blondin الفرنسي الجنس فوُضع لهُ من الشاطىء الى الشاطىء الآخر حبل على ارتفاع مئة متر فوق هذا المجرى السريع فمشى عليهِ حاملاً رجُلاً على كتفيهِ امام جلالتهِ من احدى ضفتي النهر الى الاخرى . وقد طلب من جلالتهِ ان يركب في عربة صغيرة بعجلة واحدة من الامام ثم توضع على الحبل المطلق فيمشي بها ويدفعها امامهُ بمن فيها فلم يجبهُ جلالتهُ الى ما طلب لما فيهِ من الخطر العظيم ولكن المسيو بلوندين ابى الاَّ ان يظهر براعتهُ فربط منديلاً على عينيهِ حتى لا يرى الحبل ووضع الرجل الذي مرَّ بهِ اولاً وهو محمول على كتفيهِ في هذه العربة ومشى بهِ على هذا الحبل آمناً مطمئناً الى ان وصل الى الشاطىء الآخر للنهر . فما اجسرهُ وما ابرعهُ في صنعتهِ »

وقال وهو جالس في رواق الفندق في كولورادوسبرنج في قلب اميركا

« واذا بسيدة صارت تقترب منا فرأيت من هيئتها انها ليست اميركية وذلك لسواد عينيها وشعرها وميل لونها الى السمرة وقد اصاب ظني فانها لما سمعتنا نتكلم بلغتنا العربية جاءت الينا مسرعة تخاطبنا بهذه اللغة الشريفة فعلمت من الفاظها ولهجتها انها سورية وكنت لا اتوقع ان اجد في كولورادواسبرنج سيدات سوريات فعلمت منها انها تاجرة ولها

محل تجاري في البلد وآخر في الفندق فسألتها عن حالتها وهل تجارتها رابحة فاخبرني انها تبيع في السنة بما يزيد عن الالف والخمسمائة جنيه ولكنها تشكو كثيراً من غلاء مطالب المعيشة فكل ما تكسبهُ او جلهُ يذهب في نفقات معيشتها وقد قالت انها وفدت مع أسرتها الى هذه البلدة حين بلغت الثانية عشرة من عمرها ولم ينسها طول غيبتها عن وطنها هذه المدة لغتها الاصلية ولم تزل تحن شوقاً الى بلادها اما والدها الذي بلغ من العمر عتياً فانهُ لا زال يتذكر وطنهُ ويترقب الفرص التي تمكنهُ من العودة اليهِ . وقد رجتنا ان نزور دكانها الذي في الفندق فاجبناها الى ما طلبت فدخلناهُ ومكثنا فيهِ قليلاً فرأينا ما تبيعهُ فشجعناها على عملها واستحسنا فكرة والدها ورغبناها في تحقيق امنيتهِ بعد ان تجمع من المال ما يكفيها للاقامة في سوريا وبعد ذلك عدنا الى مكاننا . ومن باب المكافاة اذكر هنا حادثة يعلم منها القارىء ان في امريكا كثيراً من الناس يعيشون وباب الامل في الحصول على الثروة مفتوح امامهم ولو كانوا من الاملاق بمكان عظيم : قرب منا بوّاب الفندق وهو انجليزي الاصل ينطق وجههُ بما هو فيهِ من الفقر المدقع وسوء الحال فاخبرنا انهُ كان مستخدماً في الجندية ببلاد الهند ووفد على امريكا منذ اربع وعشرين سنة فسألتهُ ألم يحصل الى الآن على الثروة الكافية ولماذا ترك بلادهُ وفضل هذه الحرفة على غيرها وهلاّ يمكنهُ ان يشتغل بهذه المهنة في انجلترا فقال لي عفواً يا سيدي اني مع مائة من اصحابي مشتركون في منجم ذهب وسنسمع ان شاء الله في اوّل يناير سنة ١٩١٣ ان هذا البواب الحقير الذي يقف امامك الآن لهُ دخل سنوي يبلغ ستة آلاف جنيه وحينذاك يا سيدي اترك هذه البلاد واذهب الى وطني رجلاً من ذوي اليسار وانسى كل ما رأيتهُ في خلال السنين الطويلة التي مضت عليّ وانا اتقلب على ثرى الفقر . فقلت اذا كنت واثقاً من بلوغ تلك الامنية العظيمة وذلك المستقبل الباسم في وجهك خصوصاً بعد هذه المدة القليلة جداً فلمَ اذاً تبقى هنا بوّاباً مع ان في إمكانك ان تقترض من الآن ما يكفيك لمصروفك وتذهب إن أردت إلى بلادك حتى يأتيك دخلك العظيم فتسدّد ما اقترضتهُ وتعيش من الآن متلذذاً بثروتك . فاجابني اني لا اود ترك مهنتي لاني احبها واعشقها ولولا اني في يناير سنة ١٩١٣ ساكون ذا ثروة طائلة ومن العار على الاغنياء امثالي ان يحترفوا حرفة البوابة لما تركتها ابداً . فعجبنا من شعوره الغريب ومن تلك الاماني الباطلة التي جسمها لهُ الوهم حتى جعلها في نظرهِ حقيقة ثابتة لا ريب فيها فبنى عليها ما بنى من سعادة مستقبلهِ . فتأمل في الأمل وكيف يسهل المعيشة ولولاهُ لما كان كثير من امثال هذا التعس في امريكا يطيقون الحياة التي كلها شقاء

اطل النفس بالآمال ارقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الامل »

ولما زار مدينة سان فرنسسكو بكليفورنيا ذهب الى تلاتها المشهورة فقال في وصفها « وصلنا الى اسفل جندل يوزميت وماؤه يسقط من ارتفاع ٧٦٠ متراً وهو مقسوم الى ثلاث طبقات الطبقة الاولى عمودية وتسمّى الجندل الاعلى وارتفاعها ٤٣٨ متراً في عرض ١٠ امتار ثم تلاقي سطحاً صغيراً في الجبل فتتفرّع الى جملة فروع صغيرة وتسقط جميعها عمودية من ارتفاع ١٩١ متراً ويطلق على هذه الطبقة اسم الجندل الوسطى ثم تصادف سطحاً آخر وتسقط ثانياً من ارتفاع ١٣١ متراً وتصب في النهر وهذه الطبقة الثالثة تسمّى الجندل الاخيرة مجموعها هو جندل يوزميت وهو اعظم جندل من جهة الارتفاع على وجه الارض »

ثم وقد اسهب في وصف المناظر البديعة التي شاهدها في تلك البلاد من جبال ووهاد وحراج وجنادل ولما وصل الى مدينة سيتل في اقصى الشمال الغربي من الولايات المتحدة وصلته اشارة برقية من الخواجه عزيز عطيه واخيه يوحنا فيها بوفادته الى تلك البلاد ويذكران ان السوريين القيمين في مدينة بورتلاند كانوا يودون مقابلته لابداء ما في ضميرهم من الاخلاص والحب لسموه ولامرته

ولما جاء مدينة منتريول بكندا وصف مشاهدها المختلفة وذكر مستشفى فكتوريا الذي فيها وقال انهُ « انشئ باموال اهل المروءة وتبرعات اللورد سترثكونا الذي كان يتجر تجارة صغيرة في انواع الفراء وكان اسمهُ دونلد سمث ويزيد عمرهُ الآن على تسعين سنة ومع ذلك لا ينقطع عن الاشغال فهو يمثل حكومة كندا في مجلس النواب الانكليزي واذا رآهُ الانسان لا يقدّر عمرهُ باكثر من ستين سنة فهو قوي يسافر الى انكلترا ليحضر جلسات مجلس النواب ويعود الى كندا لادارة شؤون الشركة التي يرأسها » ثم شرح كيف جمع الثروة الطائلة من بيع الفراء فانهُ كان يشتريها من المتوحشين وغيرهم بقليل من الدقيق او عقود الخرز او الاقمشة الرخيصة ويوصلها الى الصين ويستبدلها بالشاي او القطن او الحرير وكان غرشهُ يربح عشرين غرشاً . وعاد من هناك الى لويزبورك ورأى كثيرين من السوريين القيمين فيها ووصف المأدبة التي اقاموها لدولته في فندق والدورف اوستريا وسنصف هذه الوليمة في فرصة اخرى وننشر الخطبة التي تلاها دولتهُ فيها

ومعلوم ان سمو الامير ذهب الى اميركا متنكراً ولولا ذلك لاحتفلت به الحكومة الاميركية وحكومة كندا احتفالاً رسمياً يليق بشأنه